المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:06، العدد:01 (2022)، ص692-712

اللباس والحلي وأدوات الزينة لدى المرأة بمنطقة الأغواط خلال القرن19م

Women's clothing, ornaments and cosmetics in the Laghouat region during the 19th century

فاطمة دجاج
جامعة الأغواط (الجزائر)
fatimadjadj90@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2021/10/06
تاريخ القبول:
2022/02/25

الكلمات المفتاحية:
- ✓ المرأة
- ✓ اللباس
- ✓ الحلي
- ✓ أدوات الزينة

الملخص:

المقال عبارة عن دراسة تاريخية اجتماعية وثقافية، باعتباره يركز على أحد مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية في منطقة الأغواط، وبالتحديد يدرس اللباس والحلي وأدوات الزينة لدى المرأة بمنطقة الأغواط خلال القرن19م. باعتبارها تعكس جوانب هامة من ثقافة وفكر هذا المجتمع، حيث اهتمت المرأة بمظهرها فلبست أزياء تعكس تمسك المجتمع بتعاليم دينه، وحفاظه على عاداته وتقاليده، كما كانت انعكاس صادق للبيئة التي يعيشون فيها، وتجاوبت مع نمط حياتهم أيضا. إضافة إلى اهتمام المرأة بإبراز جمالها، بلبس قطع الحلي المختلفة، لتثبيت ملابسها وللتزين أيضا. واستخدام أدوات ومواد طبيعية للتزين بها، كالحناء والكحل والمسواك، فاستطاعت بأدوات بسيطة الحفاظ على جمالها وتألقها.

Article info

Received:
06/10/2021
Accepted:
25/02/2022

Key words:
- ✓ women
- ✓ clothes
- ✓ jewelry
- ✓ adornment tools

Abstract:

The article is a historical, social and cultural study, as it focuses on one of the aspects of social and cultural life in the Laghouat region, and specifically studies the dress, jewelry and adornment tools of women in the Laghouat region during the 19th century AD. As it reflects important aspects of the culture and thought of this society, where women took care of their appearance, they dressed in fashion that reflects the society's adherence to the teachings of its religion, and its preservation of its customs and traditions. In addition to women's interest in highlighting their beauty, by wearing different pieces of jewelry, to fix their clothes and to decorate as well. And the use of tools and natural materials to adorn it, such as henna, kohl and toothpicks, was able with simple tools to preserve its beauty and brilliance.

مقدمة

يعتبر اللباس والحلي وأدوات الزينة من أبرز مظاهر الحياة الاجتماعية كونها تعكس ثقافة المجتمع وفكره، وكذا عاداته وتقاليده، وبالتالي فهي تقدم صورة واضحة عن مميزاته وخصائصه. ويتناول هذا المقال بالوصف والتحليل لباس المرأة بمنطقة الأغواط، وكذلك يعرض لحليها وللأدوات والمواد التي استعملها لإبراز جمالها، وذلك خلال القرن19م، حيث اهتمت النساء بهذا الجانب، واعتبرنه جزء لا يتجزأ من حياتهن اليومية، فالفتيات منذ الصغر يتعلمن من أمهاتهن العناية بلباسهن، الذي يخضع لتعاليم الإسلام، ولتقاليد المجتمع وعاداته. كما يضعن الحلي، ويتعلمن التبرج، باستخدام أدوات طبيعية محلية، إضافة إلى العناية بشعورهن، باعتبارها من علامات الجمال لدى المرأة، ويزداد هذا الاهتمام بتقدم الفتاة في السن حتى زواجها ليصبح أمرا ضروريا.

ومنه تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بلباس المرأة في منطقة الأغواط خلال القرن19م إضافة إلى التعريف بحليها والأدوات التي استخدمتها للزينة. ولتحقيق ذلك نطرح الإشكالية التالية: **كيف تعكس ملابس وحلي المرأة وزينتها هوية وثقافة مجتمع الأغواط خلال الفترة المدروسة؟**

للإجابة عن الإشكالية نطرح التساؤلات التالية:

-ماهي الأزياء التي ارتدها المرأة في منطقة الأغواط خلال القرن 19م؟

-ماهي أنواع الحلي التي استخدمتها المرأة وماهي علاقة بعض هذه الحلي بملابسها؟

-ماهي الأدوات والمواد التي استخدمتها المرأة لإبراز جمالها؟

1. اللباس لدى المرأة بمنطقة الأغواط

يعتبر اللباس وما يتبعه من زينة وحلي، عناصر هامة تعرف بالمجتمع، وذلك أن اللباس لا تكمن قيمته فيما يوفره من حماية للإنسان، من الحر والبرد فقط، بل له قيمة اجتماعية وثقافية، لأنه يضفي على صاحبه لونا حضاريا مميزا، وهذا ينطبق على اللباس بمنطقة الأغواط، وما يميز اللباس فيها بشكل لفت انتباه من زاروها من الرحالة الأوروبيين، هو كونه فضفاض، بالنسبة للجميع الرجال والنساء سواء الكبار أو الصغار، بغض النظر عن مكانتهم الاجتماعية، نتيجة لتأثرهم بالعوامل المناخية وتمسكهم بتعاليم الدين الإسلامي، وهذا ما يوضحه قول "فرومنتان" **Fromentin** التالي: "**أن العرب ما يزالون يحفظون عادات الشعوب الأولى، ويستطيعون كذلك وأفضل من أي شعب آخر، أن يحفظوا التشابه مع الشعوب القديمة، ليس فقط في آدابهم بل كذلك في زيهم، هذا الزي الذي يمتلك امتيازا مضاعفا، إنه أكثر جمالا من الزي اليوناني وهو أكثر محلية، وظل الشعب العربي بسيطا في كل شيء، وهو جميل لأنه دون أن يتعرى ويتجرد، حقق التجرد تقريبا كاملا**" (E.Fromentin, 1904, p. 197.)

كما أن "**مالستان**" رأى أن لباس سكان الأغواط يحقق لهم الحفاظ على تسترهم، بعكس الثياب الأوروبية التي لا تحقق ذلك، وعبر عن هذا بقوله: "...**لا تبدو هذه الثياب الفضفاضة كريهة، عكس ما هو عليه الأمر في الثياب الأوروبية الضيقة، ذلك أن العربي أو العربية يبدو دائما ذا منظر مقبول، بحيث لا يرى المرء أبدا**

مرفقه عاريا على خلاف ما يراه في الثياب الأوروبية التعيسة" (مالستان، 1980، ص 231). كان هذا عن مميزات اللباس بالمنطقة عموما، وما يهمنا هنا هو التركيز على ملابس النساء فيها، لنتعرف على أنواع وأشكال وألوان ومميزات هاته الملابس، وذلك من خلال تصنيفها حسب استعمالاتها ووظيفة كل قطعة من منها.

1.1. لباس البدن

ملابس النساء في منطقة الأغواط تتميز بكونها بسيطة للغاية، تتكون عموما من قطعة من القماش، تلف بها النساء أجسمهن، بحيث تشد عند الخصر بحزام، وفي أعلى الكتفين بأبازيم، وتكون مفتوحة من جانب، وعند أصغر حركة تظهر سيقانهن العارية، وبعض أجزاء الجسم التي يتم اخفاءها بإحكام، نتيجة للحياء الطبيعي. عندما يسرن في الشوارع يلبسن الحايك، وبالنسبة للنساء البدويات خلال الهجرات تضع حجابا، مكون من قطعة واحدة توضع على الرأس، وتنزل على اليمين واليسار لتشكل وشاحا، يغطين رؤوسهن من خلال لف شعورهن بقطعة من القماش، التي تلف في شكل عمامة، لا يجب أن يرتدين المجوهرات ولا يضعن أي زينة قبل أن يتزوجن. (Villot, 1888,, p. 41) وقد وصف "**بان**" **Pein** هذا الزي الذي لم يخف اعجابه به قائلا: "**يتكون زي المرأة من القميص والحايك، والمحزمة وغطاء رأس من الحرير المطرز ومنديل ترتديه، ويثبت الحايك في مكانه بواسطة دبابيس طويلة من الخشب أو الفضة أو الذهب (البزيما) يتم ارتداءه ببراعة، ويغطي الصدر ويسقط إلى أسفل الرجلين، ويشكل طيات أنيقة**" (M.TH.Pein, 1871, p. 47).

كما وصفت "**جون بوميرول**" **Jean Pommerol** الزي الذي ترتديه النساء في قصر الحيران[1] أ بقولها: "**رأيت الأقمشة الصوفية التي ترتديها النساء، الملحفة التي تحيط بالجسد، والتي تثبت عند الكتفين بدبابيس فضية طويلة، الوقاية البيضاء التي تلف تسريحة شعورهن، وتشد عند أعلى الصدر في الوسط بإبزيم مرخم، محرمة من الحرير حمراء أو بيضاء أو خضراء ملفوفة فوق ضفائرهن، رأيت الأساور على أذرعهن وخلاخل على كواحلهن**" (Pommerol, 1898, p. 25). وذكرت أيضا أن النساء يرتدين ملابس بألوان زاهية مزينة مرصعة أو مخططة (Jean Pommerol, 1899, p. 85) . كما تحدث "**أوغيست شوازي**" **Auguste Choisy** عن لباس المرأة عندما اقترب من خيام عائلة أغواطية، كانت تخيم في المنطقة المعروفة ببلاد العطش (زباشة)، ذكر بأن المرأة البدوية غير متحجبة، وتكتفي بلبس الملحفة والعمامة والحولي، ولكن من خلال مشيتها تفرض الاحترام والوقار والهيبة، فهي تحافظ بذلك على كرامتها (Auguste choisy, 1881, pp. 68-69) في الوقت الذي أبدى "**مالستان**" إعجابه بالثياب الفضفاضة التي ترتديها نساء الأغواط، فإنه اعتبرها أقل جمالا وزركشة، من تلك التي ترتديها نساء أولاد نايل[2] المقيمات في الأغواط، أو تلك التي ترتديها نساء بسكرة بقوله: "**بأنها ليست ألبسة أنيقة مزركشة مثل نساء بسكرة، ولم تكن المرأة في الأغواط تحمل الكثير من المجوهرات مثل بنات أولاد نايل، بل كن ملفوفات في ملابس رمادية أو بيضاء، لم يكن يرى من تحتها غير عيونهن**" (مالستان، 1980، ص230).

في حين أعجب **Hubertine Auctert** بملابس المرأة ووصفها قائلا: "**النساء في الأغواط لديهن أثواب مفصلة بدقة فخمة، سواء المصنوعة من الكتان أو النسيج، كل منها يحمل أناقة حسب الأزياء القديمة، وكان سكان الأغواط يهتمون كثيرا بالنظافة، وحريصين على أن يبدون بمظهر لائق**". (Hubertine Auctert, 1900, pp. 194-197) وحسب الدكتور "**برنارد**" **Bernard** فإن كل امرأة في الأغواط تلبس ثوبا عريضا، مفتوحا على قميص خفيف، وتترك وراءها رداء أبيض طويل ينزل إلى أسفل الظهر، حيث تثبته على رأسها بعمامة سوداء من الحرير (Bernard, 1887, p. 189) . وحتى الفتيات الصغيرات يلبسن مثل أمهاتهن مع بعض الاختلافات الطفيفة، وتتميز فساتينهن بتعدد ألوانها، ترتدين أثوبا باللون الأحمر أو الأصفر أو الأزرق أو الأسود. ولكن بشكل أقل جودة، وهو ما نادراً ما يخيفهن بالكامل. وبدلاً من العمائم لديهن مناديل في كثير من الأحيان، من أجل تصفيفة الشعر فقط. (Fromentin, 1886, p. 98) كما تلبس نساء الأغواط خفا، جزؤه السفلي من الجلد المشدود، مخاط بالحرير الملون بالأحمر المغربي، تشبه الحذاء نصف آسيوية ونصف يونانية .(Fromentin, 1886, p. 97)

أما بالنسبة لملابس نساء أولاد نايل المقيمات بالأغواط، فإنها لا تختلف عن ملابس نساء الأغواط، إلا في ما يتعلق بأوانها المتعدد، وكثرة الحلي التي تثقلها، وعادة ترتدي نساء أولاد نايل قميص قصير وشفاف من الشيفون، يأتي بعد ذلك بالحرير الملون المبهرج وأحيانا بلون ذهبي (الفستان) وهو نوع من الرداء، بلا أكمام وغير مفصل، ضيق للغاية، يغلف الجسم ويرسم شكله بوضوح، يوضع حزام ذهبي جديد تحت الذراعين تقريبا ويترك حرا ليظهر تموجات الجسم، نادرا ما تضع النايلية قماش حول الوركين، في شكل تنورة وترفعه على الجانبين بدبابيس فضية كبيرة، وتضع فوقه الحايك وهو الجزء الأساسي من اللباس، وهي قطعة مستطيلة تطوى إلى اثنين في الاتجاه العلوي، ويوضع ليغطيها بالكامل، وتبقى الأذرع حرة و يمسك هذا الثوب البسيط على الكتفين بواسطة دبوس واسع من الذهب أو الفضة، هذا الرداء كبير بما فيه الكفاية، قبل أن يتم طيه إلى نصفين على العرض، وتبدو المرأة مغطاة بحائكين، واحد يسقط إلى القدمين، والآخر يتوقف عند الحزام، ويمتد إلى الوراء كمعطف، غالبا يوضع على الرأس كما لو كان قلمونة، وشاح أحمر أو أسود كبير بشراشب كبيرة محاط في كثير من الأحيان بحزام ذهبي ضيق يشد الحايك عند الخصر ويعطيه مظهر الفستان مفتوح من الجانب يشبه الزي اليوناني، يغطي الحايك كل الجسم، وعلى الظهر يتدلى بشكل معطف، وتغطي الرأس بمنديل فوقه رداء كبير مربع قد يكون من القماش الفاخر أو العادي مرقط بالفضة مهدب تضعه على الرأس وينزل على الظهر .(Bernard, 1887, pp. 207-208)

أما نساء اليهود[3] المقيمين بالأغواط يرتدين نفس زي النساء المسلمات، حيث تلبس النساء اليهوديات ثوبا من الصوف أسود أو أزرق، وتترك الجزء الأسفل من الساق عاريا، ويرتدين نوعا من النعال (Fuss, 1934, p. 505) ويضعن على رؤوسهن غطاء بألوان متعددة. (Gortabert, (s.d), p. 53) كما يلبسن ثوبا من

الحرير وصدرية مذهبة. أما الزنجيات[4] فيلبسن الحايك لباس بسيط مفتوح من الأعلى الى الأسفل مما يكشف أحيانا على جانب من أجسادهن البرونزية يلبسن الخف أو الصندال (Bernard, 1887, p. 189).

وتدخل الملابس في الهدايا التي يقدمها الزوج لزوجته، قبل الزواج كهدية، منها مناديل حريرية وأحزمة وقمصان وأغطية رأس مطرزة ونعال ومجوهرات (E.Daumas, 1912) كما أن المرأة بعد حصولها على المهر من زوجها تشتري ملابس مختلفة، في مقدمتها الملحفة الخاصة بحفل الزفاف والمناديل لتغطية الرأس مطرزة ومزينة بألوان براقة والأحزمة والحولي وقمصان، وهذا يختلف حسب حالتها المادية. (Pommerol, 1898, p. 236)

وقدمت "**بوميرول**" **Jean Pommerol** وصفا لملابس العروس التي ترتديها يوم زفافها، والتي تتكون عادة من شال أبيض شفاف، وإضافة إلى الملابس المعتادة والملحفة الحريرية الفاخرة التي تلبسها، تحيط أكتافها بسبع عشر شالا مكدسة بالتناوب، واحدة من الحرير، والأخرى من الأنسجة السميكة، توضع بشكل احتفالي ويتم تثبيتها بالدبابيس. (Pommerol, 1898, p. 245) . ويتكون لباس المرأة بمنطقة الأغواط عموما من القطع التالية:

1.1.1.القميص

تحت الملحفة ترتدي المرأة قميصا جميلا، من القماش الرقيق الذي يتميز بخفته، وأحيانا يكون شفاف مصنوع من الشيفون كما هو الحال بالنسبة للقميص الذي ترتديه نساء أولاد نايل في الحفلات (Bernard, 1887, p. 189.207) (Pommerol, 1898, p. 123).

2.1.1.الملحفة

الملحفة قطعة من القماش الصوفي أو من القماش الخشن أو من الحرير بألوان مختلفة، غير مخيطة وغير مفصلة، طولها ثلاث أمتار تقريبا، تجعل منها النساء نوعا من الفستان، يغطيهن مرورا تحت الذراع الأيسر، وفي الأمام ليربط على الكتف الأيمن، حتى تلتقي القطعة التي تربط بإبزيم، وهكذا فإنه مفتوح على الجهة اليمنى. (ترومللي تر: معراجي، 2013، ص339) وبالتالي فهي تلف الجسم بأكمله، وهي بدون أكمام، كما تمسك النساء الملحفة بمشابك من الفضة على جانبي الكتف أعلى الصدر، وتشد في الوسط بحزام. (A.Villacrose, 1875, p. 287) وتحدث "**أوغيست شوازي**" **Auguste choisy** عن لباس امرأة بدوية من الأرباع[5] فوصف الملحفة التي تلبسها بقوله: "**تلبس ثوبا يتكون من قطعتين من الصوف، واحدة على الظهر، والأخرى على الصدر، وكلاهما متصلتان ببعضهما عند الكتفين، بمشبكين فضيين، وثبتتهما في الوسط بحزام**" (Auguste choisy, 1881, p. 69)

كما وصفت "بوميرول"**Jean Pommerol** الملحفة التي تلبسها النساء في قصر الحيران بقولها: "**ترتدي المرأة ملحفة من الحرير الأخضر الفاتح، وهي قطعة مستقيمة من الحرير، تلف حول الجسم بشكل يجعلها تتحول إلى ثوب، وتشد في الوسط بحزام، وتثبت فوق الكتفين بأبازيم، ومشبكة في أعلى الصدر**".

(Pommerol, 1898, p. 120) وعموما تمنح هذه الفساتين الطويلة والمزينة بالأبازيم والمشابك للنساء مظهرا جميلا وأنيقا كما أنها تتناسب مع طبيعة الأعمال التي يقمن بها فالمرأة البدوية لا تلبس رداء يغطي جسمها كاملا لأن ما تقوم به من أعمال يومية لا يتناسب مع ذلك اللباس كما لا تحملن أية زينة باستثناء الأبازيم الفضية التي تثبت الملحفة (Pommerol, 1898, p. 220)

3.1.1.الحايك

يتمثل لباس المرأة الأساسي في الحايك، هو لحاف من الصوف الأبيض أو من القماش الأبيض، الذي يغطيها من الرأس إلى الأقدام، ويشد في الوسط بحزام من الصوف أو من الحرير بالنسبة للغنيات منهن، على أن كل النساء الغنيات والفقيرات يلبسن الحايك. (جاكو، 2013، ص 285) وهذا ما يبينه قول "**مالستان**": "**كلهن يرتدين الحايك والحولي، وكان الحايك يخلع عليهن منظرا رائعا، فالثياب الفضفاضة تجعل المرء ذا منظر مقبول**". (مالستان، 1980، ص 231) وقد وصفت "بوميرول" **Jean Pommerol** الحايك الذي تلبسه المرأة لدى خروجها من البيت بقولها: "**وهي محجبة بإحكام فوق تأنقها، بقطعة كبيرة من القماش بيضاء، وتمسك باليدين أعلى الصدر، ولا تظهر سوى عين واحدة**". (Pommerol, 1898, p. 124) وهذا يدل على سعي النساء للحفاظ على تسترهن، تمسكا بتعاليم الدين الإسلامي، وحفاظا على العادات والتقاليد. أما "**فرومنتان**" فقد بين لون الحايك الذي تلبسه نساء الأغواط والطريقة التي يلبس بها وهذا ما يوضحه قوله: " **الحايك هو نسيج قطني خفيف بلون غير واضح بين الأبيض والأصفر والرمادي، تلبسه فوق الملحفة ليغطيها بالكامل من الرأس إلى القدمين**". (Fromentin, 1886, p. 97) كما وصف "**برنارد**" **Bernard** الحايك الذي تلبسه نساء أولاد نايل المقيمات في الأغواط بقوله: "**الحايك وهو الجزء الأساسي من اللباس وهي قطعة مستطيلة تطوى إلى اثنين في الاتجاه العلوي ويوضع ليغطيها بالكامل وتبقى الأذرع حرة ويمسك هذا الثوب البسيط على الكتفين بواسطة دبوس واسع من الذهب أو الفضة هذا الرداء كبير بما فيه الكفاية قبل أن يتم طيه إلى نصفين على العرض وتبدو المرأة مغطاة بحائكين واحد يسقط إلى القدمين والأخر يتوقف عند الحزام ويمتد إلى الوراء كمعطف غالبا يوضع على الرأس كما لو كان قلمونة**". (Bernard, 1887, p. 207)

4.1.1.المحزمة

تشد المرأة الملحفة في وسطها بحزام لتمنعها من التحرك بفعل الرياح، (Auguste choisy, 1881, p. 69) ولإبراز شكل جسدها من خلال ضغط الملحفة على الخصر بهذا الحزام، (ترومللي تر: معراجي، 2013، ص 339) ويكون من الصوف أو الوبر، بحيث يتم فتل (برم) الخيوط مع بعضها ويدعى البثرور وينتهي عادة بشراشب تزينه، (Villot, 1888,, p. 104) ويتميز بتعدد ألوانه، ويمنح المرأة جمالا، ويزيد من أناقتها، (Fromentin, 1886, p. 97) وإذا كانت ميسورة الحال، يكون الحزام من الحرير الملون، وينتهي أيضا بأهداب حريرية تزينه، (ترومللي تر: معراجي، 2013، ص 339) وقد يكون من معدن النحاس أو الفضة أو الذهب، كما سيأتي لاحقا في العنصر الخاص بالحلي (Cros, (s.d), p. 28). ويعتبر الحزام جزء من تقاليد الزواج

بمنطقة الأغواط ففي اليوم الرابع من الزواج يقام احتفال في بيت الزوج وفي نهايته يوضع حزام للزوجة ويعرف هذا بنهار) التحزام) وإذا حزمت صارت سيدة في بيتها الجديد (E.Daumas, 1912, p. 43)

2.1. غطاء الرأس

1.2.1.العمامة

تضع نساء الأغواط على رؤوسهن العمامة، وهي من القماش أو القطن باللون الأسود، (Bernard, 1887, p. 189) أو باللون الأبيض الناصع، ومخططة على الحافة وأحيانا بأهداب، تلف العمامة على الطريقة التركية، تنزل على الأذنين ومنخفضة من الأمام تلمس الحاجبين، وتعطي شكلا جميلا بحيث تترك مهملة. (Pommerol, 1898, p. 123) (E.Fromentin, 1904, p. 97)

2.2.1.المنديل أو المحرمة

تغطي المرأة شعرها بمنديل أو محرمة، وهي من الحرير الملون حمراء أو بيضاء، أو خضراء أو صفراء، أو بنفسجية أو سوداء، وتكون نهايتها مطرزة بخيوط ذهبية أحيانا. (Villot, 1888,, p. 101)

3.2.1.الحولي

فوق المنديل تضع على الرأس وشاح أو رداء كبير مربع شكل، يدعى الحولي، من الشاش أو القطن الأبيض، (Cros, (s.d), p. 28) بحيث يثبت ويعلق تحت العمامة، ويحيط بالوجه من الأمام، بحيث يثبت بدبوس حول الصدر، ثم يكشف الصدر ويمر أسفل الذراعين، ويسقط على الكتفين حتى يصل إلى أسفل الظهر، ويعطي هيئة أو شكل المعطف، (Auguste choisy, 1881, p. 69) ،بحيث يلف الجسم من الخلف، من الرأس إلى أخمس القدمين، أحيانا يكون أطول من الحايك، ويمنح الجسم أناقة أثناء المشي، (E.Fromentin, 1904, p. 97) (Villot, 1888,, p. 104) بالنسبة للعروس تضع فوقها وشاحا أحمر مطرزا بالذهب يحيط بالرأس ويسقط على الرقبة. إضافة إلى الوشاح الأبيض المعتاد. (A.Villacrose, 1875, p. 287)

4.2.1.الشدة

بعد أن تلف المرأة شعرها بمنديل، وتضع فوقه الحولي، فإنها تحيط رأسها بقطعة من الشاش الأبيض في شكل عصابة، (ترومللي تر: معراجي، 2013، ص 339) والذي يمسك بالحولي الذي يتدحرج على الظهر. (Pommerol, 1898, p. 123)

2. الحلي لدى المرأة بمنطقة الأغواط

1.2. أهمية الحلي لدى المرأة بمنطقة الأغواط

قبل الحديث عن أنواع الحلي[6] ووظيفة كل قطعة منه، فإنه لابد من ابراز أهميته لدى النساء، حيث اتضح من خلال الدراسة أن النساء من جميع الأعمار يملكن المجوهرات، ولها عدة وظائف فالنساء يملكن الحلي ويحتفظن بها للأوقات الصعبة، كأن يكون أزواجهن في حالة دين، أو عندما يحتاج لشراء شيء ما، علاوة على ذلك يستعملنها للزينة والتباهي، وللحماية والوقاية من العين والحسد. (Dermenchem, 1960, p. 180)

ومهما كان المستوى الاجتماعي للمرأة تتزين بقطعة واحدة من المجوهرات في كل يوم، لكن في المناسبات والحفلات ترتدي مجموعة كاملة من المجوهرات، تغطيها من الرأس إلى أخمص القدمين تختلف وفقا لمستواها الاجتماعي والاقتصادي، وكذلك وفقا للأعراف والعادات في المنطقة، والتي يجب أن تتناسب أيضا مع الزي الذي يتم ارتداءه، وعلى الرغم من الأسماء المختلفة للحلي حسب المناطق، فإن معظم النماذج تشبه بعضها البعض في الشكل والزخرفة (Mohamed, 2011, p. 181) .

عموما تحب المرأة اذا كانت ميسورة الحال ارتداء المجوهرات، كالأقراط والحلقات في الأذن من اثنين أو ثلاثة، في طرفيهما زخرفة من المعدن أو الأحجار الكريمة، والتيجان على الجبهة والخلاخل الثقيلة في الكاحلين، وتضع في اليدين إلى المرفقين الأساور، وتضع سوار في أعلى الذراع فوق المرفق من الذهب، والمقياس وهو سوار من قرن الجاموس مزخرف أو بدون زخرفة، والقلائد من جميع الأشكال والأحجام من الذهب أو الفضة أو النحاس، وقلائد من القرنفل والعنبر وأحجار المرجان حول الرقبة، وصفائح ولوحات بشكل الورد تدعى الشبكة أو المدور، وهي جواهر كبيرة دائرية من الذهب تعلق على الصدر، كما تعلق التمائم في الرقبة أو تربطها في الذراعين، والمحازم من الصفائح المعدنية، كما ترتدي الثريات عدة سلاسل بالإضافة إلى القلادة التي تنزل إلى الصدر أو البطن، مع قلائد من العملات الذهبية، ولتثبيت الملحفة تضع الدبابيس وهي البزيمة والخلالة الكل إما بالذهب أو الفضة أو النحاس حسب قدرات رب الأسرة. (M.TH.Pein, 1871, p. 25) (Eudel, 1902, pp. 49-50.56)

المرأة البدوية نظرا لطبيعة نشاطها ترتدي لباسا بسيطا، وعلى صدرها دبوس واحد من الفضة لمسك الملحفة، والخلخال في الرجلين، ولا تضع أساور ولا مجوهرات الا في المناسبات الخاصة. وقد وصفت "**بوميرول**" **Jean Pommerol** زوجة شاب بدوي من قبيلة الحرازلية[7] وذكرت أنها تلبس لباسا بسيطا، ولا تضع سوى أساور جلدية فقط، ولا وجود للمجوهرات، وعلى صدرها دبوس واحد من الفضة، وردت ذلك إلى الفقر الشديد الذي يعيش فيه زوجها (Pommerol, 1898, pp. 219-220) .

وتحتاج المرأة إلى الحلي خاصة بمناسبة زواجها، فالحلي تعتبر جزء من الهدايا التي يقدمها الزوج لزوجته، فبمناسبة حفل الحناء تأخذ أم الزوج إلى الزوجة قطع من الحلي من الذهب أو الفضة (E.Daumas, 1912, p. 49) وتعتبر المجوهرات جزء هام من جهاز العروس، فبعد دفع المهر للزوجة تذهب الأم إلى صائغ الذهب والذي يتنقل بين الدواوير إذا كان بدويا، لاقتناء الحلي المتمثلة في الأساور والعقود والخلاخل والأبازيم... (Pommerol, 1898, p. 236) وفي يوم الزفاف تتزين العروس بالحلى من الرأس إلى القدمين، تلف جسمها في(الملحفة) وتمسكها بمشابك أو دبابيس مزينة بالسلاسل من الفضة على جانبي الكتف وأعلى الصدر، وتشد وسطها بحزام حريري أحمر لإبراز شكل جسدها أو تشد وسطها بحزام من الذهب أو الفضة، وتضع حلقات ثقيلة من الفضة حول كاحليها، وأساور من الفضة في يديها، وفي أذنيها أقراط كبيرة من الفضة، تحتوي على قطع من المرجان والعنبر، وتزين يدها بالخواتم ، وتحيط رقبتها بقلادة أو أكثر من الخرز والعنبر والمرجان والقطع المرجانية

والنقود المعدنية وصناديق التمائم، وسلاسل طويلة من الفضة معلقة عليها يد كبيرة من الفضة للحماية من العين، ثم تضع فوق كل هذا الحايك الأبيض ليغطيها بالكامل من الرأس إلى القدمين (A.Villacrose, 1875, p. 27)

وبالنسبة لعامة النساء في مختلف الحفلات تظهر المرأة مثقلة بالحلي من الرأس إلى أخمس القدمين، حيث تتطابق بمهارة مع أزياء المنطقة مع مراعاة التقاليد، خاصة وأن الحفلات والأعراس توفر فرصة مناسبة لتتباهى بما تملكه من مجوهرات أمام الأخريات، وهو ما يحدد مكانتها الاجتماعية ومستواها الاقتصادي، كما أنها تتيح لها فرصة لإعادة النظر في مجوهراتها. (Bugéja, 1929, p. 224)

ولا يقتصر استخدام الحلي على النساء فقط، بل يمتد إلى الفتيات الصغيرات أيضا، حيث يهتم الآباء في الأغواط بشراء الحلي لبناتهم الصغيرات، إذ منذ ستة أشهر يقدم الأب لابنته الأقراط والأساور وخلاخل صغيرة ويستمر هذا مع مراحل نموها. (Pommerol, 1898, p. 223) وهذا ما ذكره "**برنارد**" "**Bernard**" في قوله: "**الفتيات الصغيرات رشيقات لديهن عيون كبيرة، ترتدين ثوبا أحمر أو أصفر أو أزرق، تضعن أقراطا من الذهب أو النحاس، تضعن من خمسة إلى ستة في كل جهة، في ثقوب محفورة على حافة الأذن الواحدة فوق الأخرى**" . (Bernard, 1887, p. 189)

ومن أجل حماية الأطفال من كل شر خاصة في صغرهم، فإن أهلهم يضعون على رقابهم التمائم والخمسة، فتستخدم العائلات بعض الحلي لوقاية الطفل من الحسد والشرور، لهذا يعلق الناس حول رقاب أطفالهم قلادة فيها شكل يد مفتوحة، تعرف بالخمسة لأنها تعتبر في نظرهم حامية للطفل، من العين الشريرة وتجلب له الخير (Villot, 1888,, pp. 27-33).

وتعد نساء أولاد نايل بالأغواط من أكثر النساء المولعات بالزينة والمجوهرات، وقد قدم "**برنارد**" "**Bernard**" وصفا لهن كما يلي: "**نساء أولاد نايل لهن حي خاص بهن في الأغواط ... يمسكن الملحفة بدبوس واسع من الذهب أو الفضة، المشبك يوضع كتاج فوق غطاء الرأس (المحرمة الحريرية) يتكون من سبعة إلى ثمانية لوحات من الذهب، صفت جنبا إلى جنب، كبيرة الحجم و منحوتة، ومرصعة بالجواهر والمعلقات، سلال في الرقبة بها معلقات، قلائد من العملات الذهبية صفت على شريط أسود، والأقراط في كل أذن من ثلاث إلى أربع حلقات عريضة، ومزينة بالورود الكبيرة من المعادن التي لها قلب من المرجان الأحمر الداكن، من الرسغ إلى الكوعين تضع أساور ثقيلة وضخمة ذات نحت بارز، على الأذرع أسطوانات من الفضة، على الأصابع خواتم كثيرة، على الكاحلين خلاخل من الفضة أو الذهب تسقط على الخف، والتمائم والهلال والنجمة مغروزة هنا وهناك في الشعر والملابس**". (Bernard, 1887, pp. 208-209) وعليه فقد كان للحلي أهمية كبيرة في أوساط النساء، بكل أنواعها وباختلاف وظائفها، بل إن امتلاك المرأة للحلي يعد أمر لابد منه.

2.2. أنواع الحلي لدى المرأة بمطقة الأغواط

تستخدم المرأة بالأغواط حلية لكل عضو من أعضائها وتختلف من حيث أسمائها وأشكالها حسب طريقة استخدامها ومكان وضعها ويمكن ترتيبها كما يلي:

1.2.2.حلي الرأس

1.1.2.2.العصابة

العصابة تصنع من الفضة وقطع الذهب التي تعاد صياغتها، تتكون من سبع قطع أو لوحات في شكل شعار مقلوب، مرتبطة ببعضها بواسطة قطع صغيرة تدعى الرزة، يتم إنهاء الطرفين بلوحات مثلثة، وينحدر منها هلاليات وخمسات قصد الحماية، وفي الأسفل جوهرة متدلية اضافة إلى وجود حبات خرز زجاجية، يتم اغلاق المفصل الذي يربط بين الصفيحتين بواسطة دبوس معدني تعلوه لؤلؤة اللوحات الفضية أو الذهبية مغطاة بورود مقطوعة من ستة جوانب، وحتى الحلية المتدلية تحمل ورودا، عندما تكون العصابة من الفضة يتم تأطير الألواح بحدود ذهبية، توضع العصابة على الجبهة وأحيانا تكون مصحوبة بقلادة أو قطعة أخرى مهمة، وبها شريط حريري في كل طرف يسمح بربطها خلف الرأس، تعتبر واحد من أقدم المجوهرات في الجزائر يشير ترتيبها على شريط أو سلك مخملي إلى طريقة استخدامها حيث يمكن ارتداءها على الجبهة أو الرقبة (Bokouri, ,2011, p. 171) .(Leroudx, ,1906, p. 5)

2.1.2.2.الأقراط

تدعى المشاريف عند العموريات والقصوريات وتعرف بالعلاقة عند أولاد نايل وفي الأغواط وهي من أكثر الحلي البارزة. (Eudel, 1902, p. 83) تختلف حلقات الأذن من حيث أبعادها وأنماطها الزخرفية فهي دائرية أو بيضاوية، وهناك الحلقات البسيطة المزخرفة على الأكثر بأنماط صغيرة محززة أو مثقوبة، وهناك نوعان بشكل عام في النوع الأول تكون المجوهرات شبه دائرية وقاعدتها مزينة بأنماط تشبه سن المنشار يطلق عليها المشاريف، يوجد نوع آخر بعناصر زخرفية قابلة للإذالة تحتوي كرات فضية أو زجاجية أو على قطع من المرجان والعنبر توضع في المكان المخصص لها على الحلقة تسمى الخرصة. (Mohamed, 2011, p. 184). (Cros, (s.d), p. 27)

3.1.2.2.العقود

تختلف القلائد من حيث التصميم من أبسطها وتتمثل في سلسلة من الفضة، إلى أكثرها تعقيدا تتضمن العديد من العناصر الزخرفية، بحيث تعلق عليها يد كبيرة من الفضة للحماية من العين وهي الخمسة، وصناديق التمائم، والكرات واللآلئ. وهناك أيضا القلائد المركبة بالعملات النقدية عن طريق تجميعها معا، (A.Villacrose, 1875, p. 287) وتعرف بخيط اللويز وهو عبارة عن خيط به العديد من القطع الذهبية وهي بسيطة في تركيبها تحتوي على حبل من القطن الأسود، عليه قطع من اللويز (الذهب) وتربط نهايتها بشريط من

القماش. (Leroudx, ,1906, p. 92) ونظرا لقيمتها المالية ترغب كل النساء في امتلاكها. (Bokouri, ,2011, p. 175)

2.2.2.حلي الأيدي

1.2.2.2.الخواتم

وهي من المجوهرات التي تضعها المرأة باستمرار وقد تضع العديد منها في أصابعها، والخاتم هو حلقة من الذهب أو الفضة أو النحاس، أحيانا تكون مزينة بالأحجار الكريمة (ترومللي تر: معراجي، 2013، ص 330) وتحتوي بعض الحلقات على مشبك ذهبي يتكون من نجوم مرصعة بالخرز أو الزجاج، وتدعى بريم إذا كانت حلقة فقط غير مرصعة. (Leroudx, ,1906, p. 84)

2.2.2.2.الأساور

على الرغم من أن الأساور (الحدايد) ليست مجوهرات وظيفية مثل البزيمة، فقد اعتبرتها المرأة بالأغواط زينة أساسية، ونادرا ما تنزعها النساء من أيديهن حتى في أكثر اللحظات ألما في حياتهن. والحدايد جمع حديدة وهي الحلي التي توضع في المعصم، وهناك الأساور البسيطة الزخرفة فتزين بشقوق ونقوش، وأحيانا تكون عبارة عن قضيب معدني يشكل باللي، وهناك أساور تكون عبارة عن صفيحة مرتفعة أو واسعة، تحمل زخارف متنوعة كأوراق النخيل، غالبا ما يتم جمع ستة أو سبعة منها في يد واحدة، وفي اليد الأخرى يضعن نموذجا واسعا ومرتفع يدعى السوار[8] يصنعه الحرفيون بالقوالب والقسم المحدب منه مغطى بزخارف نباتية مرتبة في شكل مائل. العينات الأخف ذات الاستعمال العادي كبيرة ومغلقة ومتعدد الزخرفة وهي حدايد اللويز. وهناك البريم أخذ اسمه من السلاسل الصلبة والملتوية التي يتكون منها، وتغلق بواسطة خطاف ملحوم إلى الداخل، والورود التي تمثل الرؤوس. (Leroudx, ,1906, p. 75) (Bokouri, ,2011, pp. 173-175)

3.2.2.حلي القدمين

1.3.2.2.الخلخال

يأتي الخلخال في قائمة الزينة الأنثوية، نادرا ما يصنع من الذهب، بل يصنع من معدن الفضة أو النحاس وهو عبارة عن قضيب ملتوي في نهايته كريات كرؤوس، وهناك المخططة بالكامل مع زخارف مختومة، أقدم نموذج عبارة عن شريط كبير مصفح، ويزين بزخرفة هندسية موزعة بالتناوب. (Bokouri, ,2011, p. 174) وتلبس الخلخال في كاحل رجل المرأة ويكون فارغ من الداخل ويملأ بالحصى لتصدر صوتا عند المشي. (ترومللي تر: معراجي، 2013، ص 300)

4.2.2.حلي اللباس

1.4.2.2.البزيمة

له عدة أشكال حسب المناطق تختلف زخرفتها من مكان لآخر (Leroudx, ,1906, pp. 28-29) يوجد منها نوعان الأول هو نوع من الصفائح الفضية بشكل عام مثلثة أو دائرية أو بشكل نجمة مع زخرفة مخرمة

أو مزركشة أو محببة يتم ارتداء هذه الجواهر في أزواج مرتبطة معا بسلسلة أو سلسلتين مع صندوق صغير معلق في وسط السلاسل يتمثل دور هذه الشظية في تثبيت الثوب على الكتفين بخطاف وحلقة مفتوحة في النوع الثاني تكون الشظية مستديرة بشكل عام بزخارف مرخمة. (Mohamed, 2011, p. 192)

وعموما يرجع استخدام المرأة لهذه المجوهرات إلى اعتبارات محلية، تابعة لتقاليد الزي النسوي أو الثوب المعروف بالملحفة في مناطق الأطلس الصحراوي والواحات الصحراوية، الذي يتميز بأنه فضفاض بدون خياطة من الكتفين، مما يتطلب وجود ملحقات لإغلاقه، لهذا تعتمد المرأة على أدوات لتثبيته، وذلك بواسطة "**البزيمة**" أو "**المشبكة**" في الأغواط وبعض المناطق الصحراوية، أو "**شماسة**" في جبل العمور، أو المدور عند أولاد نايل، أولا تهدف الدبابيس الحمالة "**الخلالة**" المزودة بسلاسل مخصص إلى حمل الرداء الكبير، (Bokouri, ,2011, pp. 165-166) ولارتداء الملحفة يجب رفع الثوب فوق الصدر، ثم استخدام الحلية بشكل أساسي لتوحيد طرفي الثوب الأمامي والخلفي، الذي يغطي الكتفين ولظهر، بحيث توضع كل واحدة أسفل الكتفين أعلى الصدر، (Pommerol, 1898, pp. 120-123) وهو محفوظ بسلسلة مركزية تتدلى من قلادة التي يعلق وسطها عادة صندوق من الفضة يدعى الحجاب أو الكتاب تحتوي على سور من القرآن الكريم مما يكشف عن الوظيفة الوقائية للجوهرة، و تتميز العروس بالاستخدام الحصري للخلالة، التي ترتبط بصفوف من القرنفل أو الخرز أو عجينة الكهرمان، أن استعمال هذه المادة المعطرة المليئة بالمشاعر الصادقة يمكن أن تقدم للزوجين الجديدان الحماية والرعاية. (Bokouri, ,2011, p. 166) (Pommerol, 1898, pp. 120-123) وهناك حلية أخرى خاصة بتثبيت الشال أو الحولي الذي يحيط بالرأس وينزل إلى الأسفل يمسك بالبزيمة حول الوجه. (Dermenchem, 1960, p. 188)

2.4.2.2.المحزمة

يرتبط استخدام هذه الجوهرة الوظيفي وتوزيعها على نطاق واسع في مناطق الأطلس الصحراوي والواحات الصحراوية بخصائص الزي كالبزيمة، حيث تلبس النساء الملحفة كما ذكرنا سابقا وهو فستان طويل، ولشده في الوسط تستعمل الأحزمة، وقد كانت النساء تستعمل لشد الخصر حزام من الحرير أو من الخيوط الملتوية من الصوف في الأوقات العادية، وفي المناسبات تضع الحزام المصنوع من الفضة أو الذهب، (Leroudx, ,1906, p. 71) وهو عبارة عن مجموعة من الصفائح تأخذ أشكالا متعددة، إلا أنه يتم الحفاظ على نفس الشكل في المحزمة الواحدة، ثم تربط ببعضها بواسطة خطاطيف صغيرة بهدف جمعها مع بعضها، ويتم تجميلها بالخرز الزجاجي ذي الألوان الزاهية، يصل ارتفاعه أحيانا إلى ارتفاعه 20 إلى 30 سم. (Bokouri, ,2011, p. 174)

3.4.2.2.الخمسة

هي جوهرة في شكل يد مفتوحة من الذهب أو الفضة ونادرا من النحاس، أنها لوحة بسيطة وزخرفتها بسيطة أيضا، عبارة عن عدد من الخيوط، والهدف منها الحماية التي توفرها لصاحبها من العين أو الحسد،

بحيث تعلق النساء الخمسة مع الحلي أو تثبتها في الملحفة أو المحرمة أو غيرهما. إضافة إلى وظيفتها الوقائية تستعمل كحلي للزينة (Leroudx, ,1906, pp. 81-83).

3. أدوات الزينة لدى المرأة بمنطقة الأغواط:

1.3.أهمية التزين لدى المرأة بمنطقة الأغواط

تعتبر الزينة أمر أساسي بالنسبة للمرأة، وامتلاكها للأدوات الخاصة بها لا بد منه، بغض النظر عن نمط حياتها، سواء كانت مستقرة في القصور، أو تعيش حياة البداوة القائمة على الترحال، ومنذ الصغر تتعلم الفتيات من أمهاتهن كيف يعتنين بأنفسهن، ويستخدمن أدوات الزينة المتوفرة آنذاك، والتي توفرها الطبيعة عادة، فتتعلم الفتاة التبرج كوضع الكحل على العنين والحاجبين، ووضع اللون الأحمر على الخدود وصبغ اليدين والقدمين بالحناء، ومضغ السواك لتعطير النفس وتبييض الأسنان، وصبغ الشفتين باللون البنفسجي أو الأحمر، كما تقوم النساء بوضع بعض الوشم، على الجبهة والخدين، واليدين والساقين، للفتيات كنوع من الزينة. (E.Daumas, 1912, pp. 15-16)

وتظهر أهمية هذه الأدوات بالنسبة للمرأة مع تطور مراحل حياتها، وتصبح أكثر أهمية لدى زواجها، فأثناء إعداد جهاز العروس، يشتري الأهل لابنتهم الأدوات الخاصة بالزينة التي تحتاجها، كالمرايا والعطور والصناديق وغيرها. (Villot, 1888,, p. 102) وقبل العرس بفترة تكون العروس تستعد، من خلال الاغتسال وتخضب وترسم على كفيها ورجليها بالحناء. (A.Villacrose, 1875, p. 287) وقد قدمت "**بوميرول**" **Jean Pommerol** وصفا لحمام العروس بالأغواط بقولها: "**أما الحمام فهو عبارة عن حوض كبير من الماء، به المسك والعنبر والقرنفل وقنينة من الملح، ويرمى بالعروس فيه كأنه مغمي عليها، وتبدأ الوصيفات بتدليكها وتطييبها مدة شهر كامل حتى يوم العرس**" (Pommerol, 1898, p. 245). وقبل ليلة الزفاف يتم اعداد الحمام للعروس، لتتمكن من تحمل اليوم التالي، واعطاءها لمعان وبهاء، يوضع لها لون أحمر على الشفاه وعلى خديها بقعتين حمراوان بالزعفران، تتجمل بالكحل الذي يحيط بعينيها، ويعطيهما لمعانا وسحرا، ويتم نظم الحاجبين بالكحل أيضا، وهو من أهم علامات الجمال النسوي. (Villot, 1888,, p. 104) كما يصبغ شعرها بالحناء، وتخضب يديها وقدميها بالحناء، التي تعطي اللون الأحمر أو البرتقالي أو الأصفر، وتطلى الأظافر بنفس اللون أيضا استعداد للعرس، وتضع العطر في كل مكان كعطر القرنفل والمسك العنبر. (E.Henry, (s.d), p. 210)

2.3. مواد وأدوات الزينة لدى المرأة بمطقة الأغواط

ومن بين أبرز الأدوات المستعملة من طرف نساء الأغواط في الزينة نذكر:

1.2.3. الكحل

وهو مادة سوداء تدعى كبريت الأنتيمون، يمكن للنساء صنعه بأنفسهن حيث يعد من سلفات النحاس، ومن الشب المكلس وكربونات النحاس، وبعض حبات القرنفل، ويطحن كل شيء ليتحول إلى مسحوق، يضاف

له سواد الداخن كمادة ملونة، (E.Henry, (s.d), p. 300) ويتم الاحتفاظ به في قارورة من النحاس أو الفضة أو الجلد، ولإغلاق القارورة يستخدم (المرود،) وهو عبارة عن عود خشبي رقيق، ولوضع الكحل يغمس المرود في المسحوق، ثم يوضع داخل العين شبه المغلقة، فيعطي للأجفان اللون الأسود الداكن، (ترومللي تر: معراجي، 2013، ص 339) وتستعمله النساء لإبراز عيونهن وتكبيرها، ولإعطاء بريق أكثر للعينين، واعطاء نظرة أكثر عمقا لنظرتهن، ويستعمل أيضا لصبغ الأشفار وتحديد الحاجبين. (ترومللي تر: معراجي، 2013، ص 300) وهذا ما يوضحه قول ترومللي: "**الكحل الذي يحيط بعينيها السوداوين، يعطيهما نعومة محبوبة، قوسان تم تصويرهما بلباقة، وهما صافيان، تضاعفان بالتوازي المنحني الذي تشكله الأهداب الطويلة، تضفي على فطرتها عمقا غريبا**". (ترومللي تر: معراجي، 2013، ص 338). ولذا فإن قارورة الكحل لا تفارق المرأة أبدا، وفي كل الحالات. (Cros, (s.d), p. 27)

وقد كانت نساء الأغواط تشكلن حواجبهن برسم قوسين رقيقين، باستخدام الكحل وهذا ما يعبر عنه "**عبد الله بن كريو**" في البيتين التاليين:

العين السودة فوقها حاجب خلل نون معرقها التلميذ الساجي

يقول أيضا:

احواجبها تعراق نون كتـاب من ساكت في مناجيد يتورد

وهو تعبير عن رقة الحاجبين بصورة حرف النون الأبجدي، وبقيت رقة الحاجبين صورة متداولة بهذا الامتداد، مما جعلها تكاد تكون مظهرا ثابتا من مظاهر الجمال النسوي (شعيب، 1998، ص 69-73).

ويستخدم الكحل إضافة للزينة كعلاج أيضا، فله منافع طبية منها أنه يحافظ على سلامة العينين، (Gortabert, (s.d), p. 53) لامتصاص جزئه الأسود لجزء كبير من الضوء، وهو ما يمنع الجفون من التضخم والاسترخاء، ويزيد من افراز الدمع، وهو ما يوفر مزيدا من الوضوح، ويساعد على صفاء النظر (بوتفنوشت، 1984، ص 76).

2.2.3.الحناء

الحناء هو نبات يستخدم على نطاق واسع في الجزائر، لأغراض جمالية أو علاجية، تستخدمها النساء كمستحضرات تجميل (بوتفنوشت، 1984، ص 75). فللحصول على المزيد من الجمال كن يصبغن أيديهن وأرجلهن بالحناء. كما تستعمل لفوائدها الصحية، كوسيلة لتقوية جلد اليدين وباطن القدمين، وجعله ذو مناعة ضد الجروح والخدوش (ديكسون، 1998، ص 143). أما عن طريقة استخدامها فإنه يتم سحق أوراق نبات الحناء حتى تتحور إلى غبار وتخلط بالماء حتى تتحول إلى عجينة لينة، وتستخدمها النساء بسهولة بعد ذلك، حيث تمدد على راحة اليد وباطن القدمين (ترومللي تر: معراجي، 2013، ص 300). وقد تحتاج إلى من يساعدها في ذلك، وتغطي الأجزاء المحناة بقطعة من القماش، وعادة ما يتم وضعها في وقت النوم وتغسل في الصباح.

(Gortabert, (s.d), p. 53) وتستخدم أيضا لتغيير لون الشعر وصباغته (Villot, 1888,, p. 104). ولون ما بعد الحناء أحمر أو برتقالي أو أصفر، وتدوم لأكثر من أسبوعين، ويعد استعمال الحناء مظهرا من مظاهر الجمال لدى النساء (Cros, (s.d), p. 27) (Gortabert, (s.d), p. 53) . وتعتبر الحناء تقليدا هاما في حفلات الزواج بالأغواط، إذ يسبق العرس حفلة الحناء، حيث يتم فيها وضع الحناء ليدي العروس ورجليها لتزيينها ليوم العرس، إذ لا تكتمل زينتها الا بها، كما أنها ترمز للفأل الحسن والخير (E.Henry, (s.d), p. 220)

3.2.3.المسواك

عبارة عن أعواد خشبية لينة، تصنع من قشرة أو لحاء شجرة الجوز، تمضغ النسوة هذه القشرة لتلوين الشفاه بالأحمر الأرجواني، (E.Daumas, 1912, p. 50) وكذلك يفيد مضغها في الحفاظ على صحة الفم واللثة، وأما الأداة التي تحك بها النساء أسنانهن تسمى سواك، وهو عود خشبي يحرك على الأسنان (ترومللي تر: معراجي، 2013، ص 339) وبه يتم تبييض الأسنان فنساء الأغواط حسب "**برنارد**"**Bernard** لديهن أسنان جد بيضاء وهذا يرجع إلى المواد الطبيعية المستعملة من طرفهن للعناية بالفم واللثة. (Bernard, 1887, p. 189)

4.2.3.الزعفران

كما تضع النساء الزعفران على شفاهن وخدودهن أيضا، لمنحهما اللون الأحمر المائل للبرتقالي، لإخفاء شحوب البشرة من خلال الحصول على لون مغاير للشفتين والخدين. (Pommerol, 1898, p. 246)

5.2.3.المواد العطرية

للحصول على روائح طيبة، تصنع النساء عقود من القرنفل والعنبر، وترتديها في المناسبات وحتى في الأوقات العادية، وتفرز رائحة جميلة. (Cros, (s.d), p. 28) كما تستعمل النساء البخور، ولتعطير النفس يمضغن علك شجرة المصطكي) الفستق الأطلسي[9] التي تتميز برائحة طيبة، كما أنها مفيدة للأسنان وللمعدة أيضا (E.Daumas, 1912, p. 50) .

6.2.3.الوشم

يعتبر الوشم من علامات الزينة لدى المرأة أيضا، فأغلب النساء يحملن علامات وشم، خاصة في الوجه على الجبين والخدين، وعلى احدى اليدين في ظاهرها وفي أسفل الساق أحيانا، (ترومللي تر: معراجي، 2013، ص 339) الوشم وسيلة تزيين الغنيات والفقيرات معا، ويقتصر أحيانا على رسومات صغيرة ومتناثرة في بعض أجزاء الجسد (جاكو، 2013، ص 285).

7.2.3.تصفيفات الشع

تسريحة الشعر الأكثر استعمالا هي الجدائل (الضفاير) قد تضع المرأة ضفيرة واحد، أو اثنتان من خلال تقسيم الشعر إلى نصفين، وتصنع منهما جديلتين، تنتهي بشريط ملون يفتل جزء منه مع نهاية الضفيرة، وقد تترك المرأة الضفيرة حرة تنزل على الجانبين أو الظهر، وقد تجمعها وتكورها فوق الرأس، ولجمعهما تسحب نهاية

الضفائر، وتشد كل ذلك باستخدام شريط يمر على الصدغ. (Cros, (s.d), p. 28) . جميع النساء يضفرن شعورهن، من الفتيات الصغيرات إلى النساء الكبيرات، وقد تضيف بعض النساء الصوف البني أو الأسود، محاكاة للون الشعر الأصلي، لزيادة طول الشعر إذا كان قصيرا، ولزيادة حجمه إذا كان قليل الكثافة لتبدو الجدائل ضخمة، لأن طول الشعر وكثافته، يعتبران من علامات جمال النساء، أحيانا يصل طول الجديلة إلى ما لا يقل عن الخصر (Bernard, 1887, p. 208) . وتترك خصلة شعر من كل جهة تدعى (سالف) على خديها قرب الأذنين لزيادة جمالها (ترومللي تر: معراجي، 2013، ص 339).

ويتميز شعر نساء الأغواط باللون الأسود القاتم، وأحيانا تقوم المرأة بصبغه بالحناء مما يمنحه لونا مغايرا بني أو أحمر، خاصة في المناسبات كالأعراس، أو لتغيير لون الشيب الأبيض، كما أن لها فوائد صحية للشعر أيضا فهي تزيد من قوته وتكسبه لمعانا. ولجعل الشعر لينا لتسهيل تسريحه، ومنحه لمعانا، ولتجنب جفافه، تضع النساء الزيت على الشعر لكن المادة العلمية المتوفرة لدينا لم تأتي على ذكر أسماء الزيوت المستعملة ولا كيفية اعدادها. (A.Villacrose, 1875, p. 237) أما الفتيات الصغيرات فلهن نفس تسريحة النساء، وقد تقص الأمهات شعرهن أحيانا كما تصبغ بالحناء أيضا. (E.Fromentin, 1904, p. 98)

خاتمة

من خلال دراستنا لهذا الموضوع فقد توصلنا إلى الاستنتاجات التالية:

يعتبر اللباس لدى مجتمع الأغواط أحد أبرز مظاهر الحياة الاجتماعية، باعتباره يعكس جانبا هاما من ثقافة هذا المجتمع وفكره، وعاداته وتقاليده، فالملابس إضافة إلى كونها توفر الحماية للمرأة من الحر والقر، فهي تستجيب لتعاليم الإسلام، فيما يتعلق بالحفاظ على ستر جسد المرأة، من الرأس إلى أخمس القدمين، إضافة إلى ملاءمتها لطبيعة مناخ المنطقة، من حيث المادة المصنوعة منها، كالصوف أو الكتان أو الحريري...، ومن حيث الشكل فجاءت فضفاضة. بل إن لباسها يعكس حتى طبيعة حياتها فالمرأة البدوية ترتدي ملحفة قصيرة لتلائم نشاطها وتضمن لها خفة الحركة، بينما تكون ملحفة المرأة القصورية طويلة حتى القدمين. وتحرص النساء عموما على ستر أجسادهن نظرا للحياء الطبيعي الذي يتمتعن به، كما أن البدوية لا ترتدي الحجاب بل تكتفي بتغطية رأسها بالحولي، أما القصورية فتلبس الحايك لدى خروجها من المنزل بحيث يغطيها بالكامل ولا تبقي إلا على عين واحة للرؤية.

كانت النساء مولعات بامتلاك الحلى والمجوهرات، حيث تملك النساء الحلي باختلاف مستوياتهن الاقتصادية كل حسب قدراتها، وتميزت المجوهرات بالتنوع من حيث الاستخدام والنوع، فغالبية النساء يملكن مجوهرات للاحتفاظ بها لوقت الحاجة، وكذلك لاستعمالها للزينة وللوقاية من العين والحسد.

تستعمل المرأة الحلي في الأيام العادية، لعل أهمها الأقراط والأساور والخلاخل والخواتم والأبازيم والمشابك لتثبيت الزي النسوي غير المخيط وهو الملحفة. أما في المناسبات فتظهر المرأة مثقلة بالمجوهرات من الرأس إلى أخمص القدمين، فتضيف إلى ما سبق التيجان والسلاسل والعقود والقلائد التي تعلق عليها الخمسة وصناديق

التمائم والمحزمة، وكل هذه الحلي من الذهب أو الفضة أو النحاس، مرصعة بالأحجار الكريمة أو القطع الزجاج أو المرجان والعنبر وغيرها، ومزينة بالنقش والترخيم.

كما اهتمت المرأة بجمال وجهها ولهذا الغرض استخدمت كل ما تنتجه الطبيعة من مواد تجميلية كالكحل من أجل صبغ الجفون والحواجب لمنح عينيها لمعانا وجمالا. إضافة إلى تخضيب باطن الأيدي والأرجل بالحناء، لمنحهما لونا مغايرا أحمر أو أصفر أو برتقالي. كما عملت المرأة على تلوين شفاهها وخدودها بالمسواك أو الزعفران، من أجل الحصول على لون أحمر أو يماثله، لإزالة شحوب الوجه. ولتعطير الفم والحصول على أسنان بيضاء تستخدم المرأة لحاء الجوز والسواك وعلك شجرة البطم. كما تستخدم القرنفل والعنبر والمسك كعطور للجسد.

ومنحت المرأة اهتماما خاصا للعناية بشعرها، باعتباره من علامات جمالها، فتضع عليه الزيت لترطيبه ومنحه لمعانا. والتسريحة الأكثر استعمالا هي الجديلة أو ما يعرف بالضفائر محليا، قد تسرح شعرها في ضفيرة واحدة أو اثنتان، مع صبغ الشعر بالحناء للحصول على لون مغاير ولزيادة قوته أحيانا، وقد تلجأ أحيانا أخرى لاستخدام الصوف من نفس لون شعرها لزيادة حجمه أو طوله.

ملاحق

الملحق رقم 1: يوضح ملابس نساء بأحد شوارع مدينة الأغواط

المصدر: (Bernard, 1887, p. 185)

الملحق رقم 2: يوضح ملابس امرأة نايلية من مدينة الأغواط

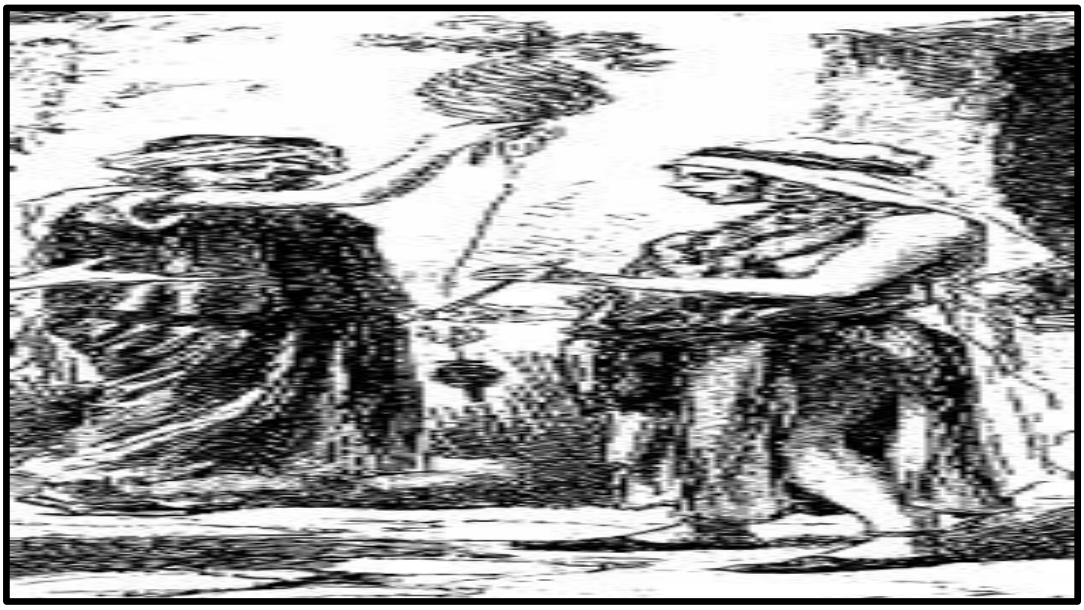

المصدر: (Fromentin, 1886, p. 101)

الملحق رقم 3: يوضح نساء بقصر الحيران يلبسن الحايك

المصدر: (Pommerol, 1898, p. 24)

الملحق رقم 4: يوضح نماذج من مجوهرات نساء منطقة الأغواط

المصدر: (Bokouri, ,2011, p. 163.173)

الاحالات والتعليقات

1 – يقع على بعد 30 كلم شرق الأغواط، على الضفة اليمنى لوادي مزي، حدائق كثيرة تسقى بمياه الآبار، تسكن به المجموعة المستقرة من قبيلة الرحمان، وهي النويرات والمطالعية وأولاد خليفة، القصر محاط بحزام من الأسوار المرتفعة. أنظر:

Jean Pommerol, **les Ksours**…,op.cit,p58.

2 – قبائل أولاد نايل تمتد أراضيها من أولاد سيدي الشيخ إلى الزيبان ومن بوغار إلى مزاب وتقريبا كل المحظيات في الصحراء تخرج من هذه القبيلة وينتشرون في الصحراء للتجارة بأنفسهن، حيث تغادر الفتيات بمجرد البلوغ منازل أهليهن ويذهبن إلى المدن لبيع جمالهن من أجل الزواج، على أن هذا التصرف لا يثير أي سوء احترام للذين يمارسونه أنظر: ادموند دوتي، **الصلحاء مدونات عن الاسلام المغاربي خلال القرن19م**، تر: محمد ناجي بن عمر، مطابع افريقيا شرق، المغرب، 2014، ص117.

3 – عاشت العديد من الأسر اليهودية في بعض قصور الأغواط خاصة في مدينة الأغواط جاؤوا من مزاب وفقيق وسوف أقاموا في حي الأحلاف والذين جاؤوا لاحقا من المغرب انظموا إلى أولاد سرغين كانوا نحاسين وصاغة للمعادن الثمينة كالفضة والذهب وصياغة المجوهرات منها أنظر:

George Hirtz, **L'Algérie Nomade et Ksourienne 1830-1954,** Diffusion, P.Tacussel,(s.d).p134.

4 – كانت تجارة الرقيق منتشرة قبل وصول الفرنسيين إلى الصحراء وهم عادة من الزنوج الذين تجلبهم القوافل التجارية من السودان وهم إما يباعون محليا للعائلات الثرية أو شيوخ الطرق الصوفية، أو يباعون في النل ونادرا ما يبيع المالك عبده، يعملون في الزراعة في الواحات وفي الرعي، وهناك فئة الحدادين الذين أصولهم في كثير من الأحيان غير واضحة وهذه الفئة ضرورية نظرا لمهاراتهم اليدوية. أنظر:

Claud Bataillon et Autres, **Nomade et Nomadisme au Sahara**, Imprimerie R. Oldenbourg raphische Betriebe Gmbh, Munich, Paris, 1963, p29-30.

5 – جاء الأرباع إلى منطقة الأغواط خلال القرن 17م من الزاب بعد أن طردهم أولاد جلال من هناك ووصلوا أولا إلى جبل بوكحيل لتوفر المراعي به وكانوا عبارة عن تجمع يضم أربع قبائل هي المعامرة الحجاج أولاد صالح وأولاد زيد وبعد وصولهم إلى الأغواط انظمت إليهم قبائل أخرى حتى أصبحت قبيلة الأرباع تتكون من عشر قبائل أولاد سيدي سليمان، أولاد بن شاعة (الحرازلية)، الحجاج، الزكازكة، المعامرة، المخاليف الجرب، العبابدة صفران، أولاد صالح، أولاد بوزيان، أولاد سيدي عطاء الله أنظر:

Augustin Bernard**, les Confins Algéro-Marocains,** Imprimeur Editeur**,** paris, 1911, p81.

6 – كان معظم الصاغة من اليهود، يصنعون في الأغواط مجوهرات عربية وبربرية نحاسية وفضية وذهبية وقد احتكروا هذه الصناعة. أنظر:

R. Dassonvill, **Archives de l'Institut Pasteur d'Algérie**, T XII, Année 1934, Alger, 1934, p512

7 – ومن بين القبائل التي تجوب السهوب نجد قبيلة الحرازلية، وهي تنقسم إلى جزئين أساسيين، وهما أولاد سيدي سليمان وأولاد سيدي يحيى، وهي تخيم عادة في الأراضي الموجودة بين سيدي خالد، توقرت، بني مزاب والأغواط، يملك قادتهم الخيول، ويميلون إلى السلم أكثر من الحرب، لكنهم لا يتأخرون عنها إن كان لابد منها، وهي الأخرى كالأرباع تتنقل بين التل والصحراء، حسب المواسم لتلبية احتياجات أفرادها وقطعانهم. أنظر: دوك دي دوماس، **الصحراء الجزائرية**، تر: قندوز عباد فوزية، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر،2013، ص70.

8 – عبارة عن صفائح معدنية دائرية الشكل مفتوحة من الجانبين يمكن اغلاقها باستخدام خطاف ملحوم بإحدى حواف الجوهرة أو باستخدام سلك بسيط يمر عبر الفتحتين أو باستخدام ديوس أما الزخرفة فيمكن ثقبها بأشكال هندسية أو نباتية وأحيانا تكون الزخرفة بارزة تشكل بالقص وتجمع على شكل أزهار كما في جبل العمور وأولاد نايل منها ما هو على شكل حلقات مسطحة يصل ارتفاعها إلى 2 سم توجد في الهضاب العليا والأطلس الصحراوي تتكون الزخرفة من خطوط مستقيمة ومتعرجة. معلومات مأخوذة من: **مديرية الصناعة التقليدية والحرف لولاية**، الأغواط مارس 2015، ص91.

9 – ما يميز مناطق "**الضايات**" في الأغواط هو وجود شجرة الفستق الأطلسي التي تعرف بالبطم محليا، تنمو في هذه المنخفضات لتوفرها على الرطوبة المخزنة في التربة، حيث تنمو في بداية حياتها داخل شجرة السدرة، وهي تعطي منظرا طبيعيا جميلا للضايات وهي شجرة كبيرة تشبه شجرة التفاح، قوية مثل البلوط، لها جذع مستقيم وناعم، وتعلوه أغصان كبيرة تنتشر مثل المظلة، حيث توفر الظل للرعاة وقطعانهم، تنتج مادة راتنجية تدعى السمق إضافة إلى مادة تدعى الصرة محليا تنمو على الجذع، كما تنتج ثمار خضراء أو سوداء صالحة للأكل. أنظر:

Hugues Le Roux ,**Au Sahara Illustré**, Librairie Marpon et Flammarion,paris,1891,p76-.77

قائمة المصادر والمراجع

1-A.Villacrose. (1875). **Vint Ans en Algérie. Paris**: Challamel Ainé, L, Commissionnaire.

2-Auguste choisy. (1881). **le Sahara Souvenirs d'un Mission a Goleah**, Paris: E. Plon ,Cie Imprimeurs-éditeurs.

3-Bernard, L. D. (1887). **L'Algérie qui S'en Va**. Librairie Plon. E. Plon, Nourrit et Cie Imprimeurs Editeurs.

4-Bokouri, F. (,2011). **Parures et bijoux d'Algérie a travers l'histoire**. Alger: Ministre de culture.

5-Bugéja, M. (1929). **Vers la Renaissance des Arts Algériens, Vision d'Algérie**. Alger: Baconnier Fréres Editeures.

6-Cros, J. ((s.d)) , **Paul Soleill. et en Afrique**. paris: Maur ce Drey Fous Editeur .6-

7-Dermenchem, E. (1960). **Le Pays d'Abel : Le Sahara des Ouled-Nail, des Larbaaet des Amour**,. France: Achevé D'imprimerie par L'Imprimerie Floche Mayyane.

8-E.Daumas. (1912). **la Femme arabe**. Revue Africaine (N 284), pp. 39-40.

9-E. Frementin(1904). **Un Eté dans le Sahara**. Paris: Librairie Plan Plon-Nourrit et Cie- Imprimeurs éditeurs.

10-E.Henry, A. e. (s.d). **L'Algérie Traditionnelle**, (Vol. T1). Alger: Cheniaux. Franville,

11-Eudel, P. (1902). **L'Orfévrerie Algérienne et Tunisienne**. Alger: Typographie et Lithographie Adolphe Jourdan.

12-Fromentin, E. (1886). **Sahara et sahel**. Paris: Libraire Plon,E. Plon .Nourrit et Cie ,Imprimeurs éditeurs.

13-Fuss, A. D. (1934). **Etude géographique et médicale de l'Annexe de Laghouat**. Archives de l'institut Pasteur d'Algérie, 12, p. 505.

14-Gortabert. (s.d). **Géographie Universelle de Malte-Brun**. Paris : Boulacer et Legrand Libraire-Editeur. paris: Societe d'édition Litteraires.

. les Ksours du Sahara, N2184, Février1899 le Monde Illustré15،- Jean Pommerol

16-Leroudx, P. E. (,1906). **Dictionnaire des Bijoux de l'afrique du Nor : Maroc, Algérie, Tunisie**. paris: Tripolitaine,Editeur,.

17-M.TH.Pein.(1871).**Lettres Familieres sur l'Algérie : un petite Royaume Arabe**. Paris: T.Martin.Imprimeur-Libraire,Editeur,.

18-Mohamed, A. (2011). **Parure des Oasis Sahariennes**. Dans M. d. Culture, Parure et Bijoux d'Algérie à travers l'histoire. Alger: Ministére de la Culture.

19-Pommerol, M. J. (1898). **une Femme chez les Sahariennes**. Paris: E rnest Flammarion E diteur,

20-Villot, L. L.-C. (1888,). **Moeur,Coutumes et Institutions des Indigénes de L'Algérie**. Alger: Librairie Adolpfe Jourdan.

1-إبراهيم شعيب. (1998). **التوخي لجمع أشعار عبد الله التخي**: ديوان بن كريو. الجزائر: مطبعة بن سالم بالأغواط.

2-ديكسون. (1998). عرب الصحراء. سوريا: دار الفكر.

3-فيليكس تر: حليمة بابوش جاكو. (2013)، **حملة الجنرال كافنياك في الصحراء الجزائرية خلال شهر أفريل وماي 1847**. الجزائر: دار الرائد.

4-محمد ترومللي تر: معراجي. (2013)، **الفرنسيون في الصحراء: يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية**. الجزائر: غرناطة للنشر والتوزيع.

5-مصطفى بوتفنوشت. (1984)، **العائلة الجزائرية: التطور والخصائص الحديثة**. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

6-هاينريش فون مالستان. (1980)، **ثلاث سنوات في شمال غربي افريقيا**، ج3، تر:أبو العيد دودو. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.